

رمزية عبدالرحمن الداخل في شعر سعيد الصقلاوي قصيدة محاصرون نموذجاً

الأستاذ الدكتور محمد علي آذرشب

جامعة طهران – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها – إيران

طالب الدكتوراه رضا جليبي (الكاتب المسؤول)

جامعة طهران – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها – إيران

rezacheliby@yahoo.com

**The symbolism of Abd Al-Rahman Al-Dakhel in the poetry
of Saeed Al-Saqlawi - The poem "Trapped" as a model**

Mohammd Ali Azar Shab

**Professor of Department of Arabic Language and Literature, Faculty of
Literature and Humanities, University of Tehran**

Reza Cheliby (Corresponding author)

**Ph.D. Candidate of Department of Arabic Language and Literature, Faculty of
Literature and Humanities, University of Tehran**

Abstract:

In the contemporary era, the Palestinian cause has received the attention of most poets such that there is hardly an Arab poet who has not addressed it in their poems. The Omani poets, just like their brothers in other countries, dealt with the Palestinian issue throughout its stages. It can thus be said that their poems are a manifestation of the historical chain of the events of the Palestinian issue, or still a record of its history. The poet Said Al-Saqlawi was one of the most prominent poets who lived the Palestinian cause with great affection and sincerity and whose poems embodied the misfortunes that the Palestinian people went through as a result. He talks of the tragedies of the Palestine occupation by the usurper Zionist regime and the resistance of the people. In so doing, he tried to raise cultural awareness about and enlighten the Palestinian issue in Oman and throughout the Arab world. Given its artistic and aesthetic value, the present article focused on the poem "the Trapped". The poem is divided into two parts: the first is to draw and criticize the tragic reality compared to, but the glory of Andalusia was not immortalized, either. In this poem, Al-Saqlawi blames Abd Al-Rahman Al-Dakhil for all the tragedies that took place in Palestine and in the Arab and Islamic East. In addition to this character, the poet uses other symbols, such as the sun, palms, and water, and although these symbols, unlike the symbolism of Abd al-Rahman, do not bear deep connotations, they are very clear. Also, one of the features of this artistic poem is its use of the word "how", which suggests the misery of the situation on the one hand, and the poet's aspiration for achieving his goals and hope on the other .

Keywords : summoning personalities , Abdul Rahman Al - Dakhil, Said Al – Saqlawy , poetry of the resistance .

الملخص :

نالت القضية الفلسطينية في العصر الحديث اهتمام أغلب الشعراء حتى أننا لا نكاد نجد شاعراً عربياً إلا وقد تناولها في أعماله. وقد واكب الشعراء العمانيون إخوانهم في الأقطار الأخرى وتناولوا القضية الفلسطينية بكل محطاتها حتى أننا نجد لها تسلسلاً تاريخياً مع أحداث القضية الفلسطينية أو تسجيلاً لتاريخها. وكان الشاعر سعيد الصقلاوي من أبرز الشعراء الذين عاشوا مع القضية الفلسطينية بكل وجدانية وصدق وجسدوا المصائب التي مر بها الشعب الفلسطيني جراء ذلك و يتحدث عن مآسي الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين ومقاومة الشعب وحاول بدوره إيجاد وعي ثقافي حيال القضية الفلسطينية في عمان والعالم العربي أجمع. ونظراً لما تمتاز به قصيدة "محاصرون" من قيمة فنية وجمالية فإننا نركز عليها في هذه المقالة. والقصيدة بمجملها تنقسم إلى نمطين؛ الأول هو رسم وانتقاد الواقع المأساوي قياساً بالتاريخ العربي الزاهر بهدف التوعية والاستنهاض كما يستخدم الشاعر إلى جانب هذه الشخصية رموزاً أخرى كالشمس والنخيل والماء وهذه الرموز خلافاً لرمزية عبدالرحمن الداخل لا تحمل دلالات عميقة بل جاءت واضحة. كما أن من ميزات القصيدة الفنية أيضاً استخدامها الكثير لكلمة "هل" التي توحى بفداحة الأوضاع من جانب وتطلع الشاعر وعدم يأسه من تحقيق مراميه وآماله.

الكلمات المفتاحية : استدعاء الشخصيات - عبدالرحمن الداخل - سعيد الصقلاوي - شعر المقاومة

المقدمة

إن مأساة فلسطين في حجمها و في حداثتها أكبر مأساة إنسانية ألمت بالأمة العربية في تاريخها الحديث، و لا تزال هذه المأساة ساخنة، و لا تزال هذه المأساة ملتهبة، و لا تزال هذه المأساة متفجرة، و لا تزال أبعادها مفتوحة، و لا يزال حجمها متزايداً لدرجة أنها أصبحت مأساة العرب الكبرى، و قضيتهم الأولى، إنها قضية وجودهم، إنها قضية مصيرهم، إنها قضية حضارتهم.

لم يستطع الشعب الفلسطيني السكوت على هذا الإحتلال الغاشم و إرهاباته الإجرامية؛ فقد أدى ذلك إلى تفجر الإنتفاضات و الثورات المتعددة بين المواطنين العرب العزل بلغ بعضها حد الحروب كما نجد ذلك في حرب عام ١٩٤٨م المعروف بالنكبة و حرب عام ١٩٤٧م المسمي بالنكسة لكن أكثر تلك الثورات والانتفاضات أخفقت بسبب شراسة الدولة الصهيونية و تدريبها المتفوق و تسليحها العالى و الموارد الكثيرة، و الدعم الخارجي الذي تلقتة من الدول الأجنبية. (جنادله، ١٣٩٤: ٩٠)

فكان من الطبيعي أن تنعكس هذه القضية المصيرية و مأساتها في الأدب الحديث. لذلك إنطلقت ألسنة الشعراء و أقلام الكتّاب لتعبّر عن ضمير الأمة و ما يعتلج فيه حيال قضية فلسطين من ألم و نقمة و تطلع إلى مستقبل تُمسح فيه تلك الجراحات. فقد شغلت هذه القضية الأدب العربي بشقيه الشعري و النثري و تنافس الشعراء و الروائيين في الكتابة عن مآسيها حتي ظهر عندنا ما يعرف بالادب الفلسطيني في مختلف الاقطار العربية و الاسلامية و من ضمنها سلطنة عمان فقد ركز شعراءها على القضية و رسموا ابرز جوانب المأساة و عبروا عن بعد من أبعادها المتعددة نهبا و قتلا و سجنا و لجوءا و تشريدا.

اتجه الشعر العربي المعاصر إلى توظيف الرمز الذي يشكل عنصرا فنيا لافتا للنظر فيه و تقنياته الحداثية عبر به الشعراء عن تجاربهم و افكارهم و مشاعرهم بطريقة غير مباشرة و جعلوا منه منفذا للتعبير عن التجربة الشعرية لديهم فهو مكن للشاعر أداة مفعمة بالاحياء و الدلالة تستطيع ان تنصهر في القصيدة فيكسبها ارقى الاساليب و يميها بالتعدد و الانفتاح الدلالي يعكس فيه الشاعر رؤاه و افكاره عندئذ يغدو الرمز بعدا

جمالها و في الوقت نفسه حرية مطلقة تتيح للشاعر التعبير عن نفسه و ما يختلج في صدره من احساس و قيم إيمانية. (سويهلة، ٢٠١٨: المقدمة)

قد أدرك الشعراء المعاصرون أن التراث مصدر غني وهام يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قاموا باستدعاء الشخصيات التراثية في شعرهم بغية توظيفها في بنية النص، بما تحمله من دلالات وإشارات تنمي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات تُعتبر من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي، لأن الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إichاءات دلالية وعاطفية، تفرض على القارئ نوعاً من الإمتزاج الذاتي، وتمثل حضوراً قوياً في وعيه و لاوعيه الفردي والجماعي. وتوظيف الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، يعني «استخدامها تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر يعبر من خلالها، أو يعبر بها عن رؤياه المعاصرة» □ (زايد، ١٩٩٧: ١٣).

فقد كان هناك عدة اسباب لاستخدام الشعراء للرموز واستدعاء الشخصيات في شعرهم ، فمن جهة فان الكبت الممارس من قبل السلطة كان لا يسمح بالتصريح مما يستدعي استخدام الرموز خشية القمع كما ان رغبة الشعراء في إعطاء عملهم طاقة إيحائية عميقة كان السبب الثاني لتوظيف التراث وبالاخير فنظراً لتردي الاحوال وحاجة الأمة إلى قائد منقذ، كثيرا ما لجأ الشعراء لاستدعاء الشخصيات الثائرة و الماجدة ذات السجل البطولي الحافل امثال النبي ص والائمة الكرام وبعض الخلفاء والقواد ... و من ضمن تلك الشخصيات عبدالرحمن الداخل.

فقد أدرك الشاعر المعاصر أنه باستغلاله هذه الإمكانيات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإichاء والتأثير؛ وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة و نوعاً من اللصوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حي و دائم في وجدان الأمة، و الشاعر حين يريد الوصول إلى وجدان أمتة عن طريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه، و كل معطي من معطيات التراث يرتبط دائماً في وجدان الأمة بقيم روحية و فكرية و وجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطي أو ذاك من معطيات التراث لإثارة

كل الإيحاءات و الدلالات التي ارتبطت به في وجدان السامع تلقائياً (المصدر نفسه: ١٦)، فليس غريباً إذن «أن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه والتي مرت ذات يوم بنفس التجربة وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه (اسماعيل، ١٩٦٧: ٣٠٧).

و قد تميز الصقلاوي من بين كل شعراء عمان الملقين بتخصيص جزءاً كبيراً من ديوانه الشعري لرسم المأساة الفلسطينية ونصرة شعبها ضد عدوه الغاشم كما تجلي ذلك في العديد من قصائده وعلى رأسها قصيدة (محاصرون) التي تناولت ثلاثة أبعاد من أبعاد المأساة تتمثل في شجب الخنوع والاستسلام الذي هو سبب الازمة وتراخيها ، و الدعوة الاستنهاضية لحمل السلاح وخوض الكفاح الذي سيحل المأساة ، واخيراً بثّ الأمل في قلوب الأمة الإسلامية والشعب الفلسطيني بغية اجتثاث اليأس والاحباط الذي كبله وصرفه عن نصرتها طيلة العقود الماضية.

يعد توظيف الشخصيات والرموز التراثية سمة بارزة في سعيد الصقلاوي، وهي تشير إشارة جلية إلى عميق قراءته للتراث، وقدرته على استغلال عناصره ومعطياته التي من شأنها أن تمنح القصيدة فضاء شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات والدلالات. فقد كان الشاعر سعيد الصقلاوي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين أحسنوا استدعاء الشخصية التراثية في شعرهم؛ وذلك يعود إلى اطلاعه العميق على التراث العربي والإسلامي. وقد وجدناه يلح على استدعاء بعض الشخصيات دون غيرها للتعبير عن رؤيته الفنية كما في استدعاءه لشخصية عبدالرحمن الداخل في قصيدة " محاصرون " ، حيث اعتبرناها في هذه الدراسة رمزا لا بد من دراسته.

فمحور الجماليات الفنية في هذه القصيدة هو الترميز بشخصية عبدالرحمن الداخل للدلالة على جانب خاص من حياة الأمة الإسلامية والعربية؛ فالشاعر سعيد الصقلاوي خلافاً للشعراء الآخرين الذين ركزوا على الجانب المشرق من شخصية عبدالرحمن الداخل فيما يتعلق ببناء الحضارة الإسلامية في المغرب العربي قد استوحى من شخصيته جانباً سلبياً وهو خروجه من المشرق الاسلامي وتركه لوطنه العربي حيث ضاعت أمجاد الشرق برحيله ولم يخلد المجد في المغرب وفي هذا القصيدة يلقي عليه اللوم في كلما حصلت من مآسي في الشرق وضياع الأرض والأعجاد.

يسعي الباحث في هذا المقال إلى الاجابة على السوالين الاتيين
١- كيف استخدم سعيد الصقلاوي رمز عبدالرحمن الداخل وما هي الآليات التي وظفها لهذا الاستخدام؟

٢- ماهي المفاهيم التي عبر عنها الشاعر من خلال استدعاء شخصية عبدالرحمن الداخل ولماذا قام بتسليط الضوء على هذه المضامين؟

خلفية البحث كما يتضح فان موضوع المقال ينقسم إلى محورين اولهما الرمزية واستدعاء الشخصيات التراثية وضمنها شخصية عبدالرحمن الداخل فقد تناولها العديد من البحوث والكتب من ابرزها كتاب استدعاء الشخصيات التراثية للمولف عشري زائد وكتاب الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث للكاتب خالد الكركي ...، أما الثاني المتمثل في سعيد الصقلاوي فهناك دراسات نقدية تناولته في بلده والعالم العربي ومن ابرز الدراسات التي تناولته:

كتاب "أبنية من فيروز الكلمات طواف على أجنحة سعيد الصقلاوي" لعبدالرزاق الربيعي نشره عام ٢٠١٠ في البحرين قام الكاتب فيه بجمع المقالات والبحوث التي تناولت قصائد الصقلاوي بالنقد الفني والأدبي من حيث الجماليات والمضامين.

كتاب "أوجه العدالة في عشر سعيد الصقلاوي" للدكتورة ناريمان محمد فتح الله عساف نشر عام ٢٠١٨ تتناول فيه القضايا الاجتماعية الخاصة بموضوع العدالة والحرية كما أنها تدرس القضايا الفنية كالكناية والصورة الشعرية.

كتاب "تجليات لاشعر العماني المعاصر (سعيد الصقلاوي) ديوان ترنمة الحياة" للإعلامي ناصر أبو عون وتناول أوجه الوطن والحبيب والعلاقات الإنسانية في الديوان موضوع البحث.

كتاب "سعيد الصقلاوي شاعر بحجم الألم" للكاتب هشام مصطفى نشر عام ٢٠١٨ وهو دراسة بنيوية لديواني نشيد الماء وأجنحة النهار.

حياة الشاعر

هو الشاعر المهندس العماني "سعيد بن محمد بن سالم بن راشد الصقلاوي الجنبلي" ولد في ولاية صور - عمان عام ١٩٥٦ (الباطين، ٢٠٠٢: ٧٢٠/٤ والصعيد، ٢٠٠٣:

٥٠/٣) رئيس اتحاد الكتاب العمانيين حالياً وحاصل على ماجستير في التصميم الحضري من جامعة ليفربول في المملكة المتحدة (عساف، ٢٠١٨: ٣٤)

شغل مناصب عدة، أهمها: رئيس تحرير مجلة السراج الثقافية، رئيس لجنة البرنامج الوطني لدعم الكتاب العماني، عضو الجمعية التاريخية العمانية، عضو منتدى الفكر العربي وجمعية الآثار والتاريخ لدول الخليج (ابوعون، ٢٠١٣: ١٨١).

دبج الشاعر عدد من الدواوين التي تشهد على براعته الفنية وسمو كعبه في الإبداع الأدبي والفني وهي "ترنيمة الأمل" ط ١٩٧٥ و "انت في قدر" ط ١٩٨٥ و "أجنحة النهار" ط ١٩٩٩ و "نشيد الماء" ط ٢٠٠٤ و "وصايا قيد الأرض" ط ٢٠١٥ وله مختارات شعرية "صحوة القمر" ط ١٩٩٦ و من مؤلفاته "شعراء عمانيون" ط ١٩٩٢ ومؤلفات أخرى في مجال الهندسة ال الحضريّة (ابوعون، ٢٠١٣: ١٨٢).

الشاعر ينتمي إلى جيل يمثل بداية جديدة للشعر العماني (الصبيغ، ٢٠١١: ١١)، فهو كما يقول أحد الباحثين عنه: "هو في مفترق طرق بين جيلين؛ جيل الشعراء الفقهاء أو المنهج التقليدي الذي لا يسمو إلى الشعر العربي في نماذجه العليا ... وبين جيل حائر متردد بين التفعيلة واطراحها، وبين القواعد المرعية في فن الشعر وإنه من شعراء البعث والإحياء ويقارنه بالبارودي وشوقي مع غيره من شعراء الخليج (ابوهمام، ١٩٨٩: ٩١). كما يصفه الآخرون بأنه شاعر رومانسي النزعة يغلب على شعره الروح الرومانسية (الموسوي، ٢٠٠٠: ١٤٠ و دعبيس، ١٩٩٢: ٨٧). وعند قراءة أعمال الشاعر نرى أن هناك تيارين يشغلان اهتمام الشاعر فيهما، أما التيار الأول فهو تيار الغزل وأما التيار الآخر فهو التيار الوطني، فالحب والوطن هما الشاغل الأكبر لذلك الشاعر ولا نرى أن هناك انفصلاً أو تناقضاً بينهما (دعبيس، ١٩٩٢: ٨٦).

تحليل القصيدة

إذا أردنا أن نلخص موضوع ومضمون هذه القصيدة فإنها تصف حال الأمة العربية والحصار الذي تعاني منه في زمن العولمة وسيطرة القطب الواحد ويوجه خطابه لعبد الرحمن الداخل وهو من أبطال الإسلام الذين صنعوا مجد الدولة الإسلامية وأرسوا دعائم الحق فيها وسعوا رقعتها ونشروا الوبتها في أرجاء الأرض أمثال عبدالرحمن الداخل (زايد، ١٩٩٧: ١٢٦) الذي استطاع أن ينجو بنفسه ويخترق الفياقي والفقر حتى

يصل بلاد الأندلس ليؤسس هناك دولة عظيمة عمّرت ثمانية قرون واستطاعت أن تنتج حضارة شعت بأنوارها على أوروبا (الروضان، ٢٠٠٤: ٧١٥). وأكثر توظيف شعراءنا لهذه الشخصيات في إطار المفارقة التصويرية لإبراز حدة التناقض بين ماضينا وحاضرنا (زايد، ١٩٩٧: ١٢٦) يخاطبه الشاعر في هذه القصيدة التي يبدوها بالبيتين التاليين:

خَبَّأتُ في نفسي هَوَاكَ أَزْمَنَّا
يا راحلاً والشوقُ في أحدا قنَّا
لَمَّا رحلتْ أَبْحَرْتَ أحلامنا
نحو الغروب لا هدى ولا سنا

(الصقلاوي، ٢٠٠٤: ١٠٣)

يبث الشاعر في المقطع الأول منها عواطفه الجياشة نحو هذه الشخصية الفذة التي أغربت مع غروبها شمس العدالة والعنفوان والانتصار؛ وبتحبيب استدعاها الى الحضور، والحضور بالطبع ليس واقعياً، ولا تقمصاً، بل في استعادة الأجداد (عساف، ٢٠١٨: ٦٨).

يعبر الشاعر في مطلع القصيدة عن شوقه وشغفه لمحي المنقذ المتمثل في شخصية عبدالرحمن الداخل، وفي كلمة "أزمن" دلالة على تقادم عهد الانتظار و طول تردي الأوضاع كما ان عبارة الشوق في الاحداق يعني البكاء أي أننا نتطلع إليك وحضور القائد الذي يلم الشتات. يصف الشاعر في البيت التالى عبدالرحمن عندما ذهب للمغرب وترك الأمة الاسلامية في الشرق. لكنه خلافا للشعراء فيما سبق، هنا يركز على الشرق بعد رحيله لا على الغرب و ما بني هناك من مجد وآثار. فيخاطبه بتحسر وتأسف ان برحيله قد زالت احلام الشرق واندثر مجده وآل نجمه إلى الافول فعبارة "لما رحلت" تحمل دلالة التائب و اللوم على البطل عندما فارق الشرق يقاسي المآسي بدل إنقاذه.

ميعادنا كانت تباشير المنى
على ضفاف النور لكن ما دنا

(الصقلاوي، ٢٠٠٤: ١٠٣)

ثم يواصل فيخبره بعبارة "ميعادنا كانت..." بان الأمنيات كانت تتحقق بوجوده لو كان حضر، فالشاعر هنا يتمنى أن يبقى عبدالرحمن هنا في العالم الإسلامي في المشرق

ويحقق الأجداد في البلدان العربية لكنه أبحر ومضى بعيداً عن الشرق ظناً أنه ينشر المجد الإسلامي في كل العالم لكنه ضاع في المشرق.

قد غيّبتك الحادثات محسناً

ما كل من أسدى يصير محسناً

(المصدر نفسه: ١٠٣-١٠٤)

هنا يقول الشاعر أن الشرق لا يسمح بظهور الأجداد، فغيّبه رغماً عنه ويعني بذلك أن الشرق يطرد كل من رام بناء المجد لأن الحكومات تخشى ذلك والشعوب غير واعية سادرة عن مصيرها. وهذا ما يشير إليه في عبارته الحكيمة " ما كل من أسدى يصير محسناً". فعبداً الرحمن غادر الشرق مرغماً وذلك اعتلاء نجم العباسيين حيث قاموا بنفي

وقتل ما تبقى من النظام الأموي . (السامرائي وآخرون، ٢٠٠٠: ٨٧)

إن الجففاً يُلِيّ فؤاداً خشناً

فكيف لا يُلِيّ فؤاداً ليناً

والشوقُ صاحٌ في الحشايا موطننا

جُلُ الوفاء أن تلبّي الموطنا

(الصقلاوي، ٢٠٠٤: ١٠٤)

في هذا البيت يلوم الشاعر موطنه الإسلامي الذي لم يعترف بشأن وقدر الشخصيات المجيدة ؛ فالجفاء الذي تلقاه البطل من المجتمع افضي إلى خيبة أمله حيث أبعدته عن الوطن وقضاياها.

ثم يواصل فيؤكد الشاعر أن الانسان رغم جور بلاده لا بد أن يفني لوطنه ويعيب على عبدالرحمن خروجه ويقول له أنت لست وفياً لأن الوفاء يقتضي أن تهتم بوطنك الشرقي لا أن تتركه في أوان الأزمات وفي ذلك دعوة لعودة الأجداد الذين غادروا الشرق الإسلامي بعد مضايقتهم فيحثهم على الصبر والمثابرة في سبيل وطنهم.

يا راحلاً من عمقنا لعمقنا

هلاً سألت اليوم عن أخبارنا

(المصدر نفسه)

نجد هنا ان كلمة "راحلاً" تحمل دلالة الأسف و "من عمقنا" تدل على عمق مآسي العالم الشرقي وفهو يجبر عبدالرحمن ان خروجه من الشرق لا يعني مفارقتنا إياه بل بقي ذاك البطل في وجدان الامة وبقيت تحلم بك وتتطلع اليه. وثم يسأل بطل القصيدة "هل سألت عن احوالنا المتردية؟" لينبه الابطال على ضرورة مناصرة اوطانهم من خلال استدعائه لشخصية عبدالرحمن. ثم يتابع أسأله موجهاً إياها إليه:

و عن شُمُوخِ الشَّمْسِ في جِباهِنا
و عن نَشِيدِ المِاءِ في تِرابِنا
و عن حَفِيفِ النَّخْلِ في أنْغامِنا
و عن أَرِيحِ الزَّهْرِ في أنْفاَسِنا
و عن حُرُوفِ الشَّعْرِ في دِيوَانِنا
و عن بَرِيقِ اللُّونِ في لُوحَاتِنا
(الصقلاوي، ٢٠٠٤: ١٠٤-١٠٥)

ثم يخاطب عبدالرحمن هلا سألت عن المجد (شموخ الشمس) في العالم الشرقي وهلا سألت عن حياة الشرق (نشيد الماء) الذي تركته يموت وتجف جذوره وهلا سألت عن الصمود و جمال حياتنا بعد رحيلك. ووظف هنا رمز النخل الذي يدل على الصمود والثبات فهو عندما يتساءل عن حضور حفيف النخل في الأنغام يعني أنه يفقد وجود الصمود في الكلام والشعر ونفس الأمة العربية.

مُشَرَّدُونَ نَحْنُ في يَبِوتِنا
نُقَشُّ الوُجُودَ عن وُجُودِنا
نُحِثُّ في الزَّحَامِ عن عُنُوانِنا
مُحَاصِرُونَ في كِتَابَةِ اسْمِنا
مُحَاصِرُونَ في ارْتِداءِ ثَوْبِنا
مُحَاصِرُونَ في اخْتِيارِ لَوْنِنا
مُحَاصِرُونَ في انْتِظارِ فِجْرِنا
مُحَاصِرُونَ في اخْتِلاسِ هِمِّنا
مُحَاصِرُونَ في ارْتِعاشِ نَبْضِنا

مُحَاصِرُونَ يَا أَخِي: فِي نَوْمِنَا
وَصَحُونَا ، وَ أَكْلِنَا ، وَ شُرْبِنَا
(المصدر نفسه: ١٠٥)

ثم يخبره في الايات التالية عن فداحة القمع والكبت الذي حاق بالامة العربية بفعل الممارسات الحكومية والصهيونية فنراه يصور لوحة الكبت بكل قساوتها؛ فالشعوب العربية بعد رحيلك تشردت وحارت في اوطانها وهي تبحث عن هويتها المسلوبة فقد تسلطت عليها قوي البطش والقمع وشرعت تسلب حريتها وتضايقها في الكتابة والثقافة والشؤون الشخصية والكلام وحتى الاكل والشرب والنوم ولم تبقي على شي من الحريات العامة والخاصة.

فالامة محاصرة في كل ما تقوم به أحلامنا ، فهي محاصرة في وجودها وكيانها ومبادئها ، وربما في أسس بقائها وديمومتها ، وحتى أحلامها فهي مصادرة، ويبدو أن الشاعر لم يجد من هو أفضل من عبد الرحمن الداخل الذي أعاد فتح الأندلس في عصور الازدهار الإسلامي لكي يوجه له خطابه، والذي يمثل الحلم العربي في شخصية تعيد للامة كرامتها وعزتها.

وَيَسْرِقُونَ الْكُحْلَ مِنْ عَيْنِنَا
وَيَسْمَلُونَ النُّورَ فِي قُلُوبِنَا
وَيُخْرِسُونَ الصَّوْتَ فِي ضَمِيرِنَا
يَجْفَفُونَ النَّهْرَ فِي عُروْقِنَا
وَيَزْرَعُونَ الْمَوْتَ فِي جُلُودِنَا
فَهَلْ يَسِيلُ الضُّوْءُ مِنْ أَهْدَابِنَا؟
(المصدر نفسه: ١٠٦)

ثم يخبر الشاعر عبدالرحمن ان السلطات بعده سرعت تسرق الكحل من العين، وهو يعني يقصد السلطات سلبت الشعوب جماليات الحياة حتي بتنا لا نرى إلا المآسي والفجائع وما يكدر الحياة. ثم يردف المعني الاول من خلال عبارة سمل النور و يعني بذلك انهم سلبوا منا طاقات الحياة فلم نعد نتمتع بها .

ثم يواصل في الايات التالية رسم لوحة القمع فالسلطات تخرس الصوت في الضمير فضلا عن الفوه وفي ذلك دلالة على شدة القمع كما انها تجفف الدم في العروق وذلك كناية عن ممارسة الارهاب و الارعاب في حق الشعوب ثم يخبر ان السلطات تزرع الموت في الجلود ومما يلاحظ ان الجلد هو محل الحس وموته يعني عدم الشعور والاحساس وبذلك يريد الشاعر ان يوحي بسياسية السطات في تدجين الشعوب واحتواء نزعاتهم. ثم يتساءل الشاعر عن امكانية بزوغ الضوء مرة اخري وهذا التسائل يدل على فداحة الكبت والقمع حتي ان الشاعر بات متحيرا هل يا تري تعود الأمة لسابق عهدها اذ لو كان الشاعر واثقا من نهوض الأمة وجازما في نفسها الثورية لما تساءل. وقد يحمل هذا التسائل معني التطلع والتمني فالشاعر يتمني لو بزغت شمس الحياة والحضارة إلى عالم الشرق.

وَيَسْتَطِيلُ النَّخْلُ فِي قَامَاتِنَا؟

وَتُعْشِبُ الْحَقُولُ مِنْ بَسْمَاتِنَا؟

(المصدر نفسه: ١٠٦)

ثم يتساءل على الطريقة اسابقة كذلك فهل يا تري تبقى فينا عزيمة الصمود. وهل هل نزهدهر ونبتسم مرة أخرى؟ فكثرة التساؤل في هذه الجمل تدل على كثرة القمع وشدة تطلع الشاعر للمستقبل وتمنياته.

ها.. يُشْرِقُ الصَّبَاحُ دَامِي الْمَنَى

فِي أَعْيُنِ الْأَطْفَالِ فِي وَجْدَانَا

يُرَوِّي عَلَى صَفْحَاتِهِ مَأْسَاتِنَا

فِي الْقُدْسِ فِي بَغْدَادَ فِي جَوْلَانَا

(المصدر نفسه: ١٠٦-١٠٧)

ثم بعد طول تسائل وتردد، نجد الشاعر هنا أجزم في الجواب وقال "يشرق" ومما يلاحظ انه لم يستخدم هنا سين المستقبل أو سوف، بل استخدم فعل المضارع المستقبلي دونهما وهذا يعني أن الشاعر واثق أن الأهداف تتحقق حالا. كما ان الشاعر في عبارة " في اعين الاطفال" يعني أن أطفالنا تروي هذه المأساة يعني أن الحزن يصبح أمراً ماضياً والنصر يتحقق وآلام الماضي ستصبح خبر كان. ويلاحظ ايضا ان ذكر مدن "بغداد،

القدس وجولان" يدل أن الشاعر هو يهتم بالقومية العربية ككل ولم يكن شاعراً لبلد بحد ذاته.

في القرن في الميزاب في سوداننا
يُشورُ ألفُ خنجِرٍ يَغْتالُننا
وَألفُ فِكْرةٍ تَجْذُجْذُنا
تَجْتاحُننا، تَدوسُ كِبْرِياءنا
(المصدر نفسه: ١٠٧)

ثم يخبر ان تلك الممارسات القمعية قد عمت الوطن العربي اجمع فهي اتسعت وتفاقت في اجرامها فهناك الاف الخناجر التي تغتال الشعوب و تجذرووس المفكرين وتدوس عزة الثائرين .

تُلغِي تَداولُ الهُـموم بيننا
نَغوصُ للأعماق في انهزامنا
وفي هـِـرَائنا، وفي اختلافنا
وفي اندحارنا، وفي انهيارنا
(المصدر نفسه)

ثم يكشف الشاعر في الابيات هذه عن سبب ذلك القمع فهو يأتي بفعل شعور السلطات بمرارة الانهزام والهوان فهي تغوص للاعماق في هزيمتها وفي خطاباتنا التافهة واختلافاتها وبذلك تنهار وتندحر اما عدوها. كما ان كلمة الهراء تعني الكلام الذي لا يجدي نفعاً والشاعر بذلك يعني ان السلطات العربية تكتفي بالخطابات النارية والتنديد ولا تقوم بعمل جاد للتصدي للأعداء لذلك تزداد اندحارا وانهياراً.

فهل يُطرزُ السَّناها ماتنا؟
ويُورقُ التَّاريخُ في أصْلابنا؟
ويَسْطَعُ الحُضُورُ في غيابنا؟
(المصدر نفسه)

ثم يتسائل مرة اخري متشوقا ومترددا فهل نتصير مرة أخرى ونرفع جباه العزة وهل يصبح حاضرننا كماضينا المجيد وهل نحضر في الساحة العالمية كأمة فاعلة بعد ما غبنا دهوراً.

يا راحلاً لقد كَبَتْ خِيولُنا
تَخَشَّيْتُ في غَمِّها سَيوفُنا
في عَنُقوائِه هَوَى إِصْرارِنا
والخَسَفُ كالْكُحولِ في دِمائِنا

(المصدر نفسه: ١٠٨)

بعد هذا التسائل يعود الشاعر فيقع في التشكي لشخصية عبدالرحمن فيخبره متحسرا ان الخيول العربية بعده كبت بمجادها وان سيوف العزة قد صدئت وتحشبت ولم تعد تستعمل .وان صمودنا وجدنا سرعان ما مات قبل أن يبلغ ذروته و بقينا نلهو ونلعب فحاقت بنا الذلة والهوان وخامرت نفوسنا حتي حارت وتاهت كما هو حالالسكراري بالكحول واستخدم الشاعر مفردة السكر لأن السكران لا يعي واقعه فهذه الذلة أبعدتنا عن الواقع أن نعيه كأن عقولنا خامرها الذل.

والعَجْزُ نَصْلٌ أُعِدَّ مَتَّ إِقدامنا
فأَيْنَه الإِسْلامُ مِنَّ إِسلامنا

(المصدر نفسه)

ثم ينبه الشاعر ان خوفنا هو الذي يمنعنا من الحركة وليس العدو. ثم يشكك بإسلام الأمة الحالى لأن الإسلام يسمو بالأمة للعزة لكن اليوم نعيش في الهوان وهذا يناقض الإسلام الحقيقي.

أَيْنَ أَلْأى تَأَقَّتْ لَهُمُ أَقْدارنا
وَأَيْنَ مَنْ وَفَّاءُهُمُ مِثاقنا
وَأَيْنَ مَنْ قُلُوبُهُمُ أَوْطاننا
وَأَيْنَ مَنْ إِيمانُهُمُ لِواؤنا

(المصدر نفسه)

ثم يتساءل عن الامجاد والابطال الذي ينقذون الشرق فيستفهم متمنيا اينهم الابطال الذين تاقت لهم نفوسنا واين نحن من وفاءهم والتزامهم بمصير البلاد . ثم أين المجيد الذي يمسك لواء الأمة ويسعى بها في طريق النضال. ورفع اللواء أيضاً يدل على الوحدة والجهاد وهذا الذي يسمح لهم بالمضي قدماً.

وَأَيْنَ مَنْ صُمُودُهُمْ قَرَأْنَا
أَنْشُتَكِي الزَّمَانَ أَمْ يَشْكُو بِنَا!
(المصدر نفسه)

ثم ينبه اننا للأسف لطول تمادينا في الظلال قد اخطانا فهم القران حتي بتنا نبرر الخنوع والتهاون ثم يتأسل الشاعر لفداحة الامر هل الزمان هو الذي يشكو الأمة لتقاعسها ام اننا نشكو الزمن وهو بذلك ينبه إلى ان الامة بدل ان تسب زمنها وتلعن القدر كان اجدر ان تصلح نفسها ففي في الاوضاع الراهنة عاهة على الزمن كان احق بالشكاية منها بدل ان تشكتي منه و شكوى الزمن من الشخص تدل على مدي ذله وتدهور حاله.

يَا أَرْضَنَا، وَيَا انْتِخَاءَ مَجْدَنَا
يَا غَضَبَ الرَّعُودِ فِي إِبَائِنَا
وَيَا نِدَاءَ الْجَرْحِ فِي أَكْبَادِنَا
وَيَا صَهِيلَ الْخَيْلِ فِي أَسْمَاعِنَا
وَيَا صَرِيرَ الرِّيحِ فِي سَمَائِنَا
وَيَا هَدِيرَ الْبَحْرِ فِي شَطَائِنَا
(المصدر نفسه: ١٠٩)

ثم يعود فينادي الارض والمجد التليد بهدف إثارة الأمة ويواصل فينادي الإباء العربي ضد المحتل ويخاطب المآسي التي راحت تنزف وتنخر في كيان الامة و ينادي الخيل ليرمز إلى ضرورة الجهاد والكفاح ضد الكيان الصهيوني ويشجع بذلك على الاقدام واخيرا ينادي الشعب كي يصبح كالريح يجث كل شي ويصبح كالبحر صاخباً زخاراً يقتلع الأعداء.

مَتَى . . مَتَى .. يَصِيرُ فِي إِمَكَانِنَا
سَحَقُ الْمَحَالِ، وَامْتِطَاءُ عَزْمِنَا
غَرَسَ الطُّمُوحِ، وَامْتِلَاكُ شَمْسِنَا
نَغْزُو الذُّرَى، وَنَقْهَرُ اسْتِسْلَامِنَا
(المصدر نفسه)

فيتسائل بلهفة وحرقة متي متي نتمكن من شد العزيمة وسحق الكيان الصهيوني. ويلاحظ ان الشاعر استعار مفردة المحال للدلالة على الكيان الصهيوني وسبب استخدامه لذلك هو ان التقاعس العربي جعل في انظار العرب، القضاء على الكيان الصهيوني أمراً محالاً. ومتي نستطيع ان نحقق طموحنا ونمتلك حياتنا ونكافح المحتل الغاشم ونقضي على خنوعنا وكل هذه التساؤلات حملت دلالة التطلع والتمني كما هو واضح.

يا راحِلاً جَمَرُ اللَّظَى أَوْ جاعُنا
وَمِعْوَلُ الْأَحْزانِ في عِظامِنا
وَمِشْطُ الْأَكْدارِ في وجوهنا
هل يُطْفَأُ الجرحُ الذي قد أزمنا؟
و هل يَلْمُ البُؤْسُ مِنْ دُرُوبِنا؟
و هل يَمِاطُ اللَّيْلُ عَنْ أَجفاننا؟

(المصدر نفسه: ١١٠)

ثم عاد الشاعر في الايات الاخيرة من القصيدة فراح يتأسف مرة أخرى، فهو بعد ان كان يتطلع وتمني فيما سبق عاد هنا إلى أوجاع الوضع الراهن، هذا التردد يدل على الحزن وشدة المآسي وأيضاً إلى عظمة التطلع وأمله في المستقبل. ثم يشير في البيت الثاني ان مشط الكدر قد نقش في الوجوه وهذا يدل على شدة الحزن والآسي. ثم يعود إلى التساؤل من زمانة الجرح الذي طال أمدّه وعن انتهاء البوس و انقضاء جور المحتل واعوانه. وهذا التساؤل بحرف ((هل)) يدل على قلقه وشدة تطلعه في ان واحد.

وَتَشْعَلُ النُّجُومُ مِنْ أَحلامنا
تُرى.. متى .. يَصِيرُ في إمكاننا؟!

(المصدر نفسه)

ثم في الاخير يتسائل متطلعا هل تبزغ النجوم العربية مرة اخرى في ديار الشرق والملاحظ ان النجوم في دلالتها البلاغية تدل على الرفعة والسمو ، واستخدامها بجانب الاحلام يعني متى تصبح احلامنا عظيمة وتتطلع لتحرير الأرض واقتلاع الكيان الصهيوني وهكذا ينهي الشاعر القصيدة بالتطلع إلى القضاء على المحتلين.

النتيجة

ركيزة القصيدة هي الترميز بشخصية عبدالرحمن الداخل وقد تجلت للدلالة على جانب خاص من حياة الأمة الإسلامية والعربية؛ الشاعر سعيد الصقلاوي خلافاً للشعراء الآخرين الذين ركزوا على الجانب المشرق من شخصية عبدالرحمن الداخل فيما يتعلق ببناء الحضارة الإسلامية في المغرب العربي قد استوحى من شخصيته جانباً سلبياً وهو خروجه من المشرق الاسلامي وتركه لوطنه العربي حيث ضاعت أمجاد الشرق برحيله ولم يخلد المجد في المغرب وفي هذا القصيدة يلقي عليه اللوم في كلما حصلت من مآسي في الشرق وضياح الأرض والأعجاء.

وصف الشاعر الواقع المأساوي المعاش وانهيار الأعجاء السابقة وقارن بينها وبين انهيار الحكومة الأموية المتددة في فتوحاتها في إثارتها لهذه المآسي يسعى الشاعر لاستنهاض همم الأمة الإسلامية.

ويستخدم إلى جانب الشخصية توظيف الرموز العامة كالشمس والنخيل والماء وهذه الرموز خلافاً لرمزية عبدالرحمن الداخل لا تحمل معاني عميقة بل جاءت بمعناها الرمزي الواضح.

قائمة المصادر والمراجع

١. الكركي، خالد، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، بيروت، دار الجيل، و عمان، مكتبة الرائد العلمية، ط١، ١٩٨٩م.
٢. الصيغ، عبدالعزيز سعيد (٢٠١١): "البنية الإيقاعية في شعر سعيد الصقلاوي، مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، المجلد ٤، العدد السابع، يوليو ٢٠١١م.
٣. ابوهمام، عبداللطيف عبدالحليم (١٩٨٩): في الشعر العماني المعاصر، القاهرة: مكتبة النهضة.
٤. البابطين، هيئة المعجم (٢٠٠٢): معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
٥. الصعدي، عبدالفتاح (٢٠٠٣): معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، الطبعة الأولى: بيروت: دارالكب العلمية.
٦. مصطفى، هشام (٢٠١٨): سعيد الصقلاوي شاعر بحجم الألم، الطبعة الأولى، عمان: دار دجلة.

رمزية عبدالرحمن الداخل في شعر سعيد الصقلاوي..... (28)

٧. عساف، ناريمان محمد (٢٠١٨): أوجه العدالة في شعر سعيد الصقلاوي، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلوم العربية.
٨. الربيعي، عبدالرزاق (٢٠١٠): أبنية من فيروز الكلمات طواف على أجنحة سعيد الصقلاوي، البحرين: مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع.
٩. دعبس، سعد (١٩٩٢): دراسات في الشعر العماني، الطبعة الأولى، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١٠. الموسوي، شبر بن شرف (٢٠٠٠): اتجاهات الشعر العماني المعاصر، مسقط: لا نا.
١١. ابووعون، ناصر (٢٠١٣) تجليات الشعر العماني (سعيد الصقلاوي) ترنيمة الحياة، بغداد : ضفاف للنشر والتوزيع.
١٢. زايد، على عشري (١٩٩٧): استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
١٣. السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون (٢٠٠٠): تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
١٤. جنادله، حامد (١٣٩٤ش): الاستنهاض في شعر الجواهري محاوره واساليبه، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة طهران.
١٥. اسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٢م.
١٦. سويهلة، يوسف (٢٠١٨): الرمز ودلالته في القصيدة العربية قراءة في الشكل خليل حاوي أنموذجاً، أطروحة كتورها نوقشت في جامعة الجليل إلى اليابس.
١٧. الصقلاوي، سعيد (٢٠٠٤): نشيد الماء، الطبعة الأولى، مسقط: لا نا.
١٨. الروضان، عبد عون (٢٠٠٤): موسوعة تاريخ العرب، الطبعة الأولى، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.